من ذاكرة الأرض

شعر: محمد عبد الرازق أبو مصطفى*
فلسطين

عُشٌّ صغيرٌ – ضفتاه ضفائرٌ
نسجته قُبرة لكي ترعى الصغارْ
والفجر يصحو باسماً
تستيقظ الأعوادُ – تغسل بالندى
وجهيْ قبرتينِ لا ريشٌ ولا زغبٌ
فترفرف الأم الحنونة في المدى
بدأ النهار بوجهه المتألقِ
وتفتق الروضُ الشهيُّ بعطرهِ
وانسابت الأنغامُ تعكسه الضياءُ
على سهول الأجنحةْ
وإذا البحارُ تموجُ في ألوانها
وكأنها خلعت رداء الصمتِ
في الليلِ البهيمْ
وتوشحت بهدير ألوانِ الأفُقْ
هذي جموع الطير سابَحةٌ
بأعماقِ الفضاءْ
هذا يحطّ وذا يواصل دربهُ
هذا يطيرُ، وذا يلملم حَبَّهُ
تمضي الدقائق في رديهات الحقولْ
والقبرات (الحمر) في العش الصغيرْ
تتأبط الصبرَ، وتنتظر الحنينْ
وإذا بكف ظاهرةْ
تمتد في رفق – تداعبها
الأصابعُ مثلُ أم حانيةْ
لا تفزعي يا قبرأتِ الروح مني
أنت بوجهي سودُ حباتِ العيونْ
لا تفزعي، فالآن يأتيكِ الطعامُ
ويزول عنك الخوفُ يا طهرَ الحياةِ
في لهفةٍ (كالبرق) تقبلُ من بعيدْ
أمُّ الصغارِ الجائعةْ
وترفُّ أجنحة الهوى
فوق الفدائي الحبيبْ

وتشق صرختُها مسامع عاشقٍ
وما زال يلهو مع أحبتها الصغارْ
فيهبُّ كالليثِ الذي يحمي العرينْ
ماذا وراءكِ يا شقية؟!
فتشير – في هلع – إلى مرمى الطريقْ
وإذا جنود الكفر تدفع بعضها
في كل أرجاء الطريقْ
قد جاء موعدكم فهيا أقبلوا
يا أحقر الخلقِ وأحفادَ القرودْ
ويزغرد الرشاش في فرح رهيبْ
تتساقط الأزهارُ، ..والأطيارُ
تفزع من خنازير اليهودْ
وتفوح ريح المسكِ
تقتلع الجهات
يصل الجنودُ إلى الجسدْ
والكف تحتضن الصغارَ الجائعةْ

لكن حقدَ الكفر لا يكفيهِ
أنْ قُتِلَ الحبيبْ
الأم تصرخُ فوقهم:
ماذا جنيتُ لكي تدوسوا
لحمَ أفراخي الصغار؟؟
فيرد وغد: أنتِ أعطيتِ
الفدائيَّ إشارةً
عندما هجم الجنودْ
عشٌّ جديدٌ – تبدأ الأمُّ
الحزينةُ في البناءْ
كلُّ الطيور تجمِّعُ الأعوادَ معَها
في موكبِ الصمتِ المهيبْ

* شاعر فلسطيني مقيم في اليمن، حاصل على البكالوريوس في الفيزياء من جامعة صنعاء ١٩٨٦م.